عربات الآلهة ..

رائعة من روائع الأدب العالمي

تقديم ذوالنون أيوب

هذا كتاب (١) احتاج مؤلفه الى شجاعة كبيرة لكتابته ، فتشجع انت ايضا ايها القارىء عند قراءته ، ولو ملخصا .

هل زار مخلوق راق ، متقدم علينا في تطور الدماغ والتفكير، ومن ثم في معرفة اسرار قوى الطبيعة في الكون ، وكيفية استخدامها ،ارضنا التي نعيش عليها ، في فجر تاريخنا الانساني ؟؟

هذا هو موضوع الكتاب الذي ألفه الكاتب الالماني (اريك فون دانيكن ERICH VON DANIKEN فاحدث ضجة ، وبدأ نوعا من البحث لم يسبق به ، بل وما كان في الامكان التفكير بامثاله جديا ، واسباغ صفة علمية عليه ، قبل ان اصبح السفر الى القمر امرا واقعيا ، لا رواية خيالية ، من مبتكرات (جول فرن) او (هـ.ج.ويلز)

يتساءل المؤلف في مطلع كتابه : هل ثمة في الكون مخلوقات مفكرة ذكية غيرنا ؟ ثم يضع الحقائق الفلكية الآتية امامنا جوابا على هذا السؤال .

ان المنظومة الشمسية التي تضم ارضنا ، ما هي الا نقطة ضئيلة في قشرة السديم الهائل ، المعروف لدينا بالمجرة او (درب التبان). ومنظومتنا الشمسية تقع في نهاية ذراع هائلة من الاذرع السديمية الحلزونية الملتفة حول المجرة ، تلك التي يقدر العلماء عددها بعشرين ذراعا او اكثر . ونحن نبعد عن مركز المجرة ، او محورها بعبارة اصح ، بما يقرب من ثلاثين الفا من السنين النورية(الثابتة النورية : ١٨٦٠٠٠ ميل) وما هذه المجرة الهائلة ، التي نراها في الليالي الصافية تقطع السماء من حيث لا نرى ، الى حيث لا نرى ، الا واحدة من الاف المجرات ، او السدم الحلزونية التي اكتشفت بعد ابتكار التلسكوب الالكتروني ، وما زال البحث جادا لاكتشاف المجهول منها .

ولنقتصر البحث على مجرتنا لكي لا نتيه في الكون اللانهائي .

قال الدكتور ويلي ليي Willy ley العالم الشهير « يقدر عدد النجوم في مجرتنا بثلاثين مليارا .» ويقدر الفلكيون عدد السيارات التي تدخل في نظام المنظومات الشمسية ، بثمانية عشر مليارا ، فاذا ما قدرنا ان عدد النجوم السيارة التي تدور حول شموسها ، كارضنا، يبلغ ١ بالمئة من هذا العدد ، لتبقى لدينا مئة وثمانون مليونا ، ولو اعتبرنا ان ١ بالمئة ايضا من هذا العدد يصلح للحياة ، لكان الناتج مليونا وثمانمائة الف.ولنقل ان ١ بالمئة من هذا الناتج يسكنه مخلوقات من طراز الانسان ، فيكون الناتج الاخير ثمانية عشر الفا من هذه النجوم السيارة .

يقول الدكتور س . ميلر S. Miller العالم في علم الكيمياء الحياتية ، انه من الممكن ان الحياة وما تتطلبه ، قد تطورت وتقدمت، باسرع مما هي عليه في ارضنا ، في عدد من الكواكب ، يقدر بمائة الف ، وان الحضارة على هذه الكواكب قد سبقت حضارتنا باشواط .

ان عمر الكون يقدر ما بين الثمانية والاثني عشر مليارا من السنين ، وان قشرة ارضنا عمرها اربعة الاف من ملايين السنين،وان المخلوق الذي تطور حتى اصبح انسانا ، وجد على ارضنا قبل مليون من السنين . اما تاريخ الحضارة للانسان نفسه Homo Sopien فلا يتعدى سبعين الفا من السنين . وكم من مرة انهارت دعائم تفكيرنا، وانقلبت معارفنا رأسا على عقب ، خلال تاريخ حضارتنا . فمن مئات الاجيال ، كنا نعتقد ان الارض مسطحة ، وان الشمس تدور حول الارض . وما زلنا نعتقد ان كرتنا الارضية هي وحدها موطن المخلوق

---

(١) «عربات الآلهة » CHARIOTS OF THE GODS

العاقل في كل الكون . ولقد ثبت لنا الآن ان ارضنا ما هي الا كوكب سيار عادي ، ولسنا في هذا العالم الا نملا ، وما كان باستطاعتنا ان ننظر الى الماضي نظرة دقيقة جريئة ، قبل ان نتمكن من النظر في المستقبل واحتمالاته .

لقد اصبحت قصة جول فرن (حول العالم لمدة ٨٠ يوما) شيئا لا يثير دهشة اكثر الناس جهلا ، في الوقت الحاضر . لقد اصبح في الامكان السفر حول الارض بمدة ٨٦ دقيقة . ولن يمر زمن طويل، حتى يصنع الانسان مركبات الفضاء المسماة بالفوتون الجبارة،التي تسير بطاقة نووية لها قدرة في الدفع ، قد توصل المدفوع الى ما يقارب سرعة الضوء. ان ذلك ليس خيالا محضا ، فمن يقول بهذا علماء اثبتوا ان الكائنات الحية تحتمل هذه السرعة . وان هذه الطاقة الدافعة في رحم الزمن القريب . وعلى هذا القياس نستطيع ان نتنبأ بان احفادنا سيسافرون الى الكواكب ، حيث يدرسون علم الفلك ، دراسة عملية ، حسب مناهج جامعاتهم .

ان قضية الزمن قد وجد لها حل ايضا ، اذ ان من يسافر بسرعة تبلغ ٩٩ بالمئة من سرعة الضوء ، ستكون كل ١،١٤ من سنيه وهو مسافر معادلة لمائة سنة على سطح الارض ، وذلك حسب الدستور الرياضي النسبي الآتي ز/ز١=١(س٢/س١) (ز = الزمن عند المسافر الكوني ، ز١= الزمن على سطح الارض ، س = سرعة المركبة الكونية ، س١= سرعة الضوء) فمن يسافر بهذه السرعة وعمره عشرون سنة ، ويعود بعد ١٤ سنة تقريبا يجد ان اقرانه في العمر قد اصبح عمرهم ١٢٠ سنة ، اما هو فتكون سنه ٣٤ تقريبا ،خطوة نحو الخلود ، الذي ما فتىء الانسان يحلم به ، اليس كذلك ؟.

فلنصور اننا سافرنا في مثل هذه السفينة الكونية ، وتغلغلنا في الكون ، ووصلنا الى منظومة شمسية ما ، فيكون اول ما نعمل ، ونحن على بعد مناسب من هذه المنظومة ، ان نختار الكوكب الذي نريد النزول عليه ، بعد ان نفحصه باجهزتنا الالكترونية والذرية الدقيقة، لنعلم مدى صلاحيته لحياتنا ، وما فيه من مادة الوقود الذي نستعيض به عن وقودنا الوشيك على النفوذ . ثم تنزل على هذا الكوكب .وقد نجد على ظهره مخلوقات تشبهنا ، الا انها متخلفة حضاريا عنا بمدة ثمانية الاف سنة ، ونجد في البقعة ، التي اخترناها لنزولنا ، مجموعة سكنية لهذا المخلوق ، وهو في عصره الحجري . وفي دور تاليه عناصر الطبيعة التي تخيفهم .

سيهرب هؤلاء السكان رعبا عندما يرون مركبتنا الراعدة النارية، تنزل في وسطهم من السماء ، سيقولون ان الآلهة قد نزلت عليهم، وسيختبئون في الاحجار وهم يرتجفون رهبة وفزعا . يرون كيف يحول الآلهة الليل نهارا بشموس صغيرة يحملونها (البروجكتورات)ويطيرون في الفضاء لوحدهم متى شاءوا افرادا (بالاحزمة الصاروخية) ويحدثون رعودا تهز الجبال (المتفجرات)

ونمضي نحن في اعمالنا ، لاستخراج ما نريد ، بوسائلنا وادواتنا . دون مبالاة بتلكم المخلوقات . واخيرا يتقدم اذكاها واجرأها، زحفا ، ليقدم للالهة قربانا من احسن ما لدى العشيرة ، فنضحك منه، ونرغب ان نفهمه شيئا عن حقيقة امرنا ، فنجد اننا عاجزون عن ذلك، حتى بذكائنا الفائق ، وبوسائلنا العجيبة . ولكننا قد نستطيع الاستعانة بهم في القيام بامور لا تحتاج الى خبرة ولا الى ذكاء ، فنسخرهم في بعض اعمالنا ، بعد ان نرئس عليهم اكثرهم فهما وفطنة (ملوكا ، او كهنة) ليكونوا واسطة بيننا وبينهم ، وسيصعب علينا ان نفهمهم الاخطار والمآسي التي مررنا بها ،حتى وصلنا الى الحالة التي نحن عليها ، لعلهم يكونون اسعد حظا منا في تقدمهم، وسنستعين بكل ما لدينا من صور وافلام ، ولكن هيهات ، الا ان بعضهم قد يتطبع على السلوك الذي فرضناه عليهم ، وخصوصا الرؤساء ، بحكم احترامهم لنا ورهبتهم منا ، وعندما نفارقهم بسفينتنا الكونية ، سيحتفظون بما تركناه ، من ذكرى ، وتعاليم وسلوك ، وببعض ما نستغني عنه، ويروون للاجيال هذه الملحمة الآلهية ، بكل جد واخلاص . ويرهبون الكافرين بما تركنا لهم من اعاجيب ، وقد ينقشون هذه الملحمة بخطوط او صور معبرة.والخلاصة ان موقفهم منا سيكون نفس موقفنا لو زارتنا بعثة من كوكب آخر قبل ٨٠٠٠ سنة من تاريخنا . اما لو قدر علينا النزول على ظهر كوكب متقدم علينا ثمانية الاف سنة او اكثر ،فستكون خيبة املنا شديدة ، وسيكون موقفنا مضحكا ، فسوف نستقبل استقبال همج مسوخ الضحك علينا وعلى مركبتنا وادواتنا الابتدائية.

اننا نقف اليوم امام بعض الآثار القديمة موقف حيرة ودهشة. لقد استمر العلماء والمؤرخون طيلة اجيال يحاولون تفسير الغاز هذه الآثار (كيف استطاع الاقدمون بوسائلهم الابتدائية اقامتها) دون جدوى . وجدير بنا الآن ان نزيل هذه الغاية من علامات الاستفهام، ونحن في عصر الفضاء والذرة .

ويذكر فون دانيكن عشرات من هذه الالغاز المحيرة ، سأقتبس منها ما يلي : وجد بين مخلفات الاميرال التركي (بيري ريس) عدد من الخرائط ، حفظ بعضها في متحف (طوب قابي سراي)،ومجموعتان منها في مكتبة الحكومة الرسمية في برلين تبين منطقة حوض البحر الابيض) المتوسط بدقة ، ونشير الى مناطق بعيدة ، وراء البحر الاطلسي ، مرسومة بشكل مائل منحرف . لقد درس هذه الخرائط كل من الاختصاصي الاميركي (ارلنكتون هـ . مالبي) والمستر (وولتر) من رؤساء دائرة المسح في البحرية الاميركية . والاب الجزويتي لينهام مدير دائرة المسح للمنطقة الغربية في اميركا . ورسام الخرائط المختص في البحرية الاميركية . واتفقت اراؤهم على ان هذه الخرائط لا يمكن الا ان تكون قد صورت من علوكبير في الجو ، من نقطة فوق القاهرة، وان المناطق البعيدة المنحرفة ، هي الاميركتين ـ كما تبدوان من هذا العلو الشاهق ، والاعجب من كل ذلك ان قسما من قارة القطب الجنوبي المغطاة بجليد دائم ، والتي لما تكاد ان تعتبر مكتشفة ، والتي لا يمكن تحديد الارض تحت الجليد الدائم فيها بغير اجهزة الصدى الحديثة كل الحداثة ، نجده مرسوما على هذه الخرائط، وآخر دراسة قام بها البروفسور جارلس هـ .هابكود Hapgood والرياضي و.ستراخان، ادت بهما الى رأي مثير جدا ، فبالمقارنة مع التصاوير المأخوذة بواسطة الاقمار الصناعية لسطح الارض ، ظهر ان هذه الخرائط قد صورت بواسطة مركبة فضائية على علو شاهق فوق القاهرة تماما .

ان هذه الخرائط ترجع الى ما يزيد على مائتي عام ، وهي ليست الاصل ، فمن المحتمل انها قد استنسخت من اصول تكرر استنساخها عدة مرات ، فكيف نفسر ذلك ؟ لا جواب .

وعلى بعد قليل من المحيط الهادي ، فوق جبال الانديز ، تقع مدينة (نازكا) في بيرو وبالقرب منها وادي بلبا ، وفي هذا الوادي ارض مسطحة مستوية طولها ٣١ ميلا وعرضها ميل واحد ، تنتشر فيها قطع تشبه الحديد الصدىء ، ويسمي السكان هذه الارض بمبا ،وتعني بلغتهم السهل المعشب ، مع ان تلك الارض لا تحوي ولا نبتة واحدة . وتظهر للناظر من الجو في هذه الارض خطوط متوازية ومتقاطعة ،تكون اشكال اشباه المنحرف الهندسية . مرسومة بدقة مع اتساع رقعتها. وقد قال علماء الآثار ان هذه طرق اختطها الانكا (سكان بيرو) . فوا عجبا ! ما فائدة طرق كهذه لاقدام ابتدائيين ؟ ولم كانت هذه الطرق تؤدي الى لا شيء ، ولم هذه الدقة الهندسية في التوازي والتقاطع؟ لقد قيست هذه الخطوط حديثا وتبين انها تشير الى تخطيط فلكي ويؤكد الاستاذ (الدن ميسن) الخبير بتاريخ الانكا ، ان ديانة هؤلاء القوم لا علاقة لها بالفلك وحساباته ، ولا الزمن وتوقيته . ان هذه الخطوط لا تفيد الا النازل من الجو .

ولقد اكتشف في بيرو ايضا تقويم بين الاعتداليين ،والفصول، مع موقع القمر في كل ساعة ، وحساب دورانه مع اخذ دوران الارض بنظر الاعتبار . امر لا يصدقه العقل اولا وجوده فعلا . وبين الآثار المحيرة في بيرو المعابد المبنية من صخور تزن الواحدة منها مائة طن

التتمة على الصفحة ـ ٧٣ ـ

عربـــات الآلهـــة

ـ تتمة المنشور على الصفحة ـ ١٣ ـ

او اكثر ، مصقولة ومتداخلة ، بحيث لا يمر حد سكين بينها ، وقد بنيت هذه الآثار على ارتفاع ١٣٠٠٠ قدم ، ارتفاع يصعب فيه التنفس مع تماثيل جبارة ذات ملامح منحرفة واشكال مختلفة لا تشبه سحن الانكا . وبين التماثيل صورة آله بشكل انسان مجنح ، يقول القوم السذج عنه ، انه الآلهة (اريانا) التي قدمت من السماء بعربة ذهبية، وولدت بين البشر ، الذين انتشروا وعمروا الارض ... الى غير ذلك من الاعاجيب الموجودة في اميركا الجنوبية ، ولكن ما هو مطمور تحت الارض قد يكون اعجب ، وادعى الى الدهشة .

وقبل الفي سنة سبقت اقدم حضارة معروفة ، سجل السومريون اعجب المعلومات والعلوم ، ولكننا لا نعرف من اين اتى هؤلاء ، لقد جاءوا من جهة مجهولة ، بحضارة عالية فرضوها على الساميين انصاف الهمج . لقد كانوا يعبدون آلهتهم فوق بروج عالية يبنونها في السهول التي لا مرتفعات فيها . وكانت معلوماتهم الفلكية عالية جدا. لقد كانت معابدهم تحسب وجوه القمر ودورانه بدقة لا تتعدى ٤ بالمئة خطأ عن حساباتنا . اما ملحمة كلكاميش التي سجلوها ، فلنا معها شأن آخر . ولقد تركوا فيما خلفوا ، وما وجد بعد اكثر من الف سنة ، في مكتبة اشوربانيبال ،في (نلقايونجق) قرب الموصل ، هذا الرقم على الآجر ١٩٥،٩٥٥،٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ وهو رقم مكون من خمس عشرة مرتبة ويصعب حتى علينا قراءته ، وما استطاع رياضيو اليونان وهم في اوج حضارتهم ، ان يتعدوا العدد ١٠٠٠٠ . ثم يستشهد المؤلف بنصوص من التوراة ، اقواها واوضحها رواية النبي حزقيال حيث يقول « في السنة الثلاثين ، وفي اليوم الخامس ، من الشهر الرابع ، بينما كنت مع الاسرى ، عند نهر جيبار ، انفتحت السماء ، فنظرت، وشاهدت عاصفة تاتي من الشمال ، فيها سحب عظيمة ، ونيران انفرجت ولها بريق ، ومن وسط النيران ظهر شيء بلون الكهرمان، ومنه ظهر اربعة من الخلف ، لهم شبه بالانسان ، لرؤوسهم اربعة اوجه ، ارجلهم مستقيمة ، واقدامهم سميكة كاقدام الثور، يبرقون بريق النحاس الملمع » لقد وصف النبي بالدقة مركبة كونية آتية من الشمال ، بكل التفاصيل مع ملاحيها بالبسهم ، التي ليست غريبة علينا الان . وعلينا ان نتذكر ان آله بني اسرائيل (ياهوا) يوصف في العهد القديم ، بانه قادر على كل شيء . فلا موجب لقدومه بمركبة، ومن جهة خاصة وبزي معين . انه يستطيع النزول رأسا اذا اراد بدون ضجة ولا هيئة خاصة .

وتتابع الرواية « رأيت بالقرب مخلوقا حيا ، يركب عربة ذات اربع عجلات ، تتحرك على جوانبها الاربعة ، لون العجلات بلون الزمرد، اطاراتها عالية ، وعليها عيون متماثلة كثيرة ، تسير في كل الجهات، ترتفع وتنخفض بمن عليها ، ومن فوقها اربعة اجنحة » .

ان الوصف ينطبق على مركبة اميركية من النوع المستخدم في الاراضي الطينية الزلقة في محرك هيليوكبتر تطير بها عند الحاجة.

لقد سجد حزقيال ، واخفى وجهه رعبا ، الى ان سمع صوتا يخاطبه « يا ابن الانسان قف على قدميك لاكلمك » . ثم يصف كيف اخذوه الى العربة ، واعلموه بانهم سيعيدون النظام الى هذه البقعة التي لا ترضيهم ، وما عليها من بشر لهم عيون ولكنهم لا يبصرون ،وآذان ولكنهم لا يسمعون . وحمل النبي الرسالة الى قومه .

واغرب من ذلك قصة ليمخ ، عندما رأى بين اولاده ولدا لا يشبه اولاده ، ولا ابناء العشيرة ، وهو نوح، فسأل الام متهما ، فقالت مدافعة « لم احمله من اجنبي ، ولا من جندي ، ولا من احد ابناء السماء »فماذا عنت بابناء السماء ؟ اليس من حقنا ان نتساءل ؟ وذهب ليمخ الى ابيه متوشالح شاكيا ، فما كان من الجد الا ذهب يستشير آمريه ، وعاد ليقول ان الارض قد فسدت ، وقد حكم عليها بالهلاك بالطوفان ، الا نوحا وذريته ، فهم من طينة الهية ، وكان بعد ذلك الطوفان . اما من خلف نوح ، وقدر كل ذلك ، فقد طار بعربة من نار صاعدا الى السماء.

ان طريقة انتاج بشر ذكي ، ذي قابليات عليا ، هي في طريق البحث والتكامل الآن ، افلا يمكن ان مثل هذا قد حدث على ارضنا قبل الوف السنين ، من فعل مخلوقات عليا ، انت من كواكب اخرى. وجعلت الارض حقل تجربة لها ؟ وان التجربة قد اعيدت اكثر من مرة، بعد ان شطبت تجربة ما ، بالطوفان ؟

ويعرض المؤلف نصوصا من ملحمة كلكاميش التي وجدت مسطورة على الآجر في مكتبة اشور بانيبال ، والتي ترجع اصولها الى اكثر من الف سنة مضت قبل اشور بانيبال ، وقد عثر على نسخ منها موغلة في القدم .

تنص هذه الملحمة على ان آله السماء كان يسكن في بيت ملكي فيه اهراء ، وحراس على الاسوار ، وان كلكاميش ثلثا اله ، اما الثلث الباقي فانسان . وكان من يحجون لرؤيته من ابناء الارياف والمدن الاخرى يرتعدون رهبة عند رؤيته ، لبصائه وعظم قوته . اما الكيدو الذي ولدته الالهة السماوية (ارورو) فكان جسمه مغطى بالشعر، ويعيش بين الوحوش ، وقوته خارقة (لعل انكيدو ثلث اله) وارتأى كلكميش ملك اوروك ، لاصلاحه ، ان يهبه امرأة ذات جمال سماوي مقدس . فقضى معها انكيدو ستة ايام بلياليها . ثم تروى الملحمة كيف نزل الاله الشمس وسط عاصفة من البروق والرعود والزوابع ، فأخذ الاثنين (فريبي الآلهة) بمخالبه وطار بهما بسرعة هائلة . ويقول كلمكيش ان ثقله اصبح كجلمود من صخر وانه صار كالرصاص. وهل لنا ان نتساءل من اين تعلم كلكميش ان الانسان اذا طار بسرعة كبيرة مرتفعا ، يزداد ثقله ، حتى يصبح كالرصاص ؟ وهذا اهم ما يحتاط له الآن رواد الفضاء ؟ وثمة اكثر من ذلك . ان الآلهة سألت انكيدو ، كيف يرى الارض . فرآها في المرة الاولى ، كالجبل والبحر بحيرة ، وبعدها كالحديقة والبحار كالسواقي ، وبعدها رآها كثريد في مرق والبحار كحوض ماء مستدير . ان هذه الاسئلة كانت تتكرر كلما زاد الآله ارتفاعا . ولا نعلم ان في استطاعة خيال اسطوري ان يبلغ مثل هذه الدقة العلمية عند الارتفاع في الجو ، حتى يصل الى ما تصله الاقمار الصناعية ، او المركبات الفضائية الآن . ان الانسان الى ما قبل بضعة قرون كان يعتقد ان الارض مسطحة تمتد الى ما لا نهاية له . فلو تخيل الطيران والارتفاع لما زاد على ان يقول ان الارض مسطحة ومسطحة وتمتد الى ما لا نهاية .

وبعد ان مات انكيدو ، بعد تلك السفرة ، خشي كلكاميش من نفس المصير فسافر قاصدا الآلهة . حتى وصل جبلين يحملان طاقا سماها بوابة الشمس ، يحرسها جباران سمحا له بالدخول ، لانه ثلثا اله ، ورأى اهوالا بعد عبور بحار واسعة ، حتى اجتمع بأوتنا بشتم ابي البشر (نوح في التوراة) فوجد انه يشبه شبه الولد لابيه وسمع منه تفاصيل قصة الطوفان .

وتثير اساطير الاسكيمو الى ان اول قبيلة تناسلوا منها ،جاء بها اله مجنح ، له اجنحة من نحاس الى هذه الاصقاع المتجمدة .

اما اساطير الهنود الحمر فتقول ان طير الرعد هو الذي خلق النار واوجد الفاكهة . وتتحدث اساطير المايا (هنود اواسط اميركا) بأن الاله (بوبول قوه) خلق الارض كرة ، واحدث الجهات الاربع . فكيف لعمري علم هؤلاء الهمج ان الارض كروية قبل الوف السنين ؟ وفي آثار المايا ما يحير العقول ، فقد تركوا تقاويم مدهشة. فقد علموا ان سنة الزهرة ٥٨٤ يوما ، وقدروا سنتنا الارضية بـ ٢٤٠ ـ ٣٦٥ . والتقدير الصحيح الذي توصلنا اليه الان بكل وسائلنا الحديثة هو ٣٦٥ر٢٤٢٢ فمن اين لسكان الغابات هؤلاء مثل هذه الدقة ؟ والاعجب من ذلك ان ديانتهم تقول ان الكواكب مسكونة .وان الآلهة اتت من مجموعة النجوم التي نسميها الثريا . ولم يشذ عنهم السومريون والاثوريون ، والمصريون ، والبابيلون ، فكلهم اجمعوا على ان الآلهة قدمت من النجوم بعربات .واذا سلمنا جدلا بان الاقدمين

كانوا يتصورون ، بداهة ، ان الهتهم في السماء ، وانهم يطلقون العنان لخيالهم لخلق الخرافات حولها ، الا اننا نجد الكثير مما يروونه عن هذه الآلهة ، يشذ عن هذا الاعتبار .

ان ملحمة (الماها باها راتا) الهندية ،التي يرجع تاريخها الى قبل ٥٠٠٠ سنة فيها من النصوص ما يستحق ان يقرأ على ضوء معلوماتنا الحديثة . وسندهش اشد الدهشة ، حينما نقرأ في المراماينا ان الفيمانا (وتعني الآلة الطائرة) تطير على ارتفاعات عظيمة بواسطة الزئبق ، وتدفعها رياح شديدة ، وانها تطوي المسافات الشاسعة بسرعة البرق . وانها تستطيع الطيران في كل الجهات . واليك نصا من هذا الكتاب المقدس « بأمر راما صعدت العربة الفاخرة على جبل من السحاب بطنين هائل » .

« بهيما طار بفيمانه على شعاع عظيم ، كان ساطعا كالشمس. واخرج صوتا كصوت الرعد في العاصفة » .

فما الذي دعا الراوي الى هذه الاوصاف التي تطابق حركة صاروخ يحمل عربة كونية ؟

وجاء في اول جزء من المهابهاراتا ان « كونتي، لم يزرها ابن الله، وحسب ، ولكنها حملت منه ، وولدت غلاما يشع كالشمس ، وخوفا من الفضيحة ، وضعت الطفل في سلة صغيرة ، وارسلتها في النهر، وان « ادهيرتا » من رجال (السوتا) الصالحين اصطاد السلة من الماء، وربى الطفل » وما اشبه ذلك بقصة موسى !

ان (اريوانا) بطل (الماهابهاراتا) سافر قاصدا الآلهة كزميله كلكاميش ، فقابل الآلهة ،وركب معها عربتها السماوية ، ويمضي فيصف سلاحا غريبا يقتل كل من فوق جسمه معدن ، فاذا ما ادرك المحارب الخطر الخفي ، قبل فوات الاوان ،نفض عن جسمه دروعه ، واسرع الى الماء ليغتسل جيدا ، وان هذا السلاح يسقط الشعر والاظافر .ويجعل الانسان يذوى حتى يموت .. ويضيف الى هذه الاوصاف التي لا تصدق الا على الاشعاع النووي ، ما يكملها ، فيذكر ان الآله ارسل من فيمانته صاروخا على المدينة ، فتصاعد منها دخان ابيض وهاج، يفوق الشمس سطوعا ، اخذ يصعد ويصعد ، واحال المدينة تحته الى رماد .

وجاء ذكر العربات الطائرة في اساطير التيبت ايضا وسميت لآلىء السماء .

ويتساءل المؤلف عن السر الغريب في ظهور المدينة المصرية القديمة فجاة في وادي النيل ، بمدنها الزاهية ، ذات الشوارع البديعة المزينة بالتماثيل على الجانبين ومعابدها الهائلة واهراماتها المحيرة ،حضارة بدون مقدمات او تطور يدل عليها ، وان اكثرها فخامة اقدمها .لقد اكتشفت في ادفو نقوش تشير الى ان اثارها الهائلة اقيمت بقوى خارقة للطبيعة . وان امحوتب كان كاهنا وطبيبا وكاتبا ومهندسا معماريا وفيلسوفا معا . لقد كانت ادوات البناء في ذلك الزمن السحيق تصنع من الخشب او النحاس ، وكلاهما لا يثلم الصوان . فكيف استطاع امحوتب اقامة هرم ستارة المدرج الذي لم يستطع اي مهندس جاء بعده ان يضاهيه . وقد احاط الهرم بسور ارتفاعه ٣٣ قدما وطوله ١٧٥٠ قدما ، وسمى البناء كله دار الابدية وقد وضع هو نفسه فيه بعد موته ، منتظرا الآلهة لتاتي وتوقظه .

ولقد اكتشف في قبر قديم في مصر يرجع الى عهد الملك او ديمو هيكل عظمي لحيوان غير معروف مع قلادة ذهبية . فمن اين اتى هذا الحيوان ؟ وكيف نفسر وجود النظام العشري في الحساب في ذلك الزمن السحيق ، ولم ظهرت الكتابة عندهم فجاة ؟

ويذكر المختصون بتاريخ مصر وحضارتها القديمة ، انها ظهرت فجاة كاملة لا ينقصها علم اوفى ، وان تلك الحضارة اقامها خمسون مليونا من سكان مصر يومذاك . اما المؤرخون العالميون فيؤكدون ان عدد نفوس العالم المعروف الى قبل ٣٠٠٠ سنة لعام ما كان يتجاوز العشرين مليونا . ان الاهرامات الهائلة ، والمعابد الضخمة تحتاج الى نحاتين ومهندسين وحجارين ، وسنانين ، ومئات الالوف من العبيد والملايين من المزارعين لاقامتهم ، مع جيوش كثيفة ، وطبقة ضخمة من الكهان واكبر منها فرعون وحاشيته . فهل كانت الدلتا يومذاك ، والارض الضيقة على جانبي النيل كافية لاطعام كل هؤلاء؟ يقولون ان مكعبات الاحجار الضخمة التي بنيت بها الاهرام كانت تدحرج على جذوع من الخشب ، فهل هذه هي جذوع النخيل الذي يغلل الارض ، التي تسلبها الشمس المحرقة ما يتسرب اليها من ماء النيل؟ والتي لا يستغنى عن ثمرها طعاما ؟ ام انهم استوردوا هذه الجذوع من الخارج ؟ ان ذلك ليحتاج الى اسطول هائل ، وعدد لا يحصى من العربات والخيول ، وما كان لدى مصر في تلك الحقبة شيء من ذلك كما تشير الآثار .

ان ثمة الغازا ما زال عقلنا حائرا في الاجابة عليها ،في هندسة هرم خوفو الاكبر ، لقد سويت قاعدة الهرم بدقة يصعب على احدث الآلات المعاصرة ان تقوم به . وقد صقلت تلك الجلاميد من الصخر باشكال متماثلة متساوية . ورصفت فوق بعضها بدقة لا تتعدى البوصة خطأ ، ثم شقت داخل الهرم انفاق وممرات زينت برسوم ملونة رائعة دقيقة ، لم يذهب الزمن برونقها ، وبهاء الوانها ،فبأي مصابيح استضاء العاملون والفنانون ؟ اذ لا اثر لسخام المشاعل ، ولا ذرة كاربون مما يترك احتراق الخشب وغيره . واذا ما تركنا كل هذا جانبا فهل لنا ان نتساءل : هل من الصدف ان ارتفاع هذا الهرم، اذا ضرب بالف مليون ، انتج بعد الارض عن الشمس ؟ وان دائرة نصف النهار المارة بالهرم تقسم الكرة الارضية ، بما فيها من يابس وماء الى قسمين متساويين ؟ ولو قسمنا مساحة القاعدة على ضعف الارتفاع لوجدنا النسبة الهندسية الثابتة المعروفة ٣،١٤١٦ ، هذا زيادة على وجود رقم يدل على وزن الارض .

ان هذا الهرم يتحدى برهبته وضخامته كل مهندسي الحضارة الحالية نفسها بله مهندسي العالم قبل ٥٠٠٠ سنة .

وقد قدر المؤلف كل الامكانيات البشرية يومذاك ، التي يمكن ان تسخر لبناء الهرم فوجد انها لا يمكن ان تنجزه باقل من ٦٦٤ سنة ، مع ان المفروض ان الهرم اعد لدفن الملك فيه !..

ويستشهد المؤلف بنص جاء في تاريخ المسعودي ، (وقد اخطأ في اعتباره قبطيا فهو عربي مولود في بغداد وهو من يعرف بهيروواس العرب) المحفوظ مخطوطا في مكتبة اكسفورد ، يقول فيه ان الملك سوريد هو الذي بنى الهرم الاكبر وانه طلب من الكهنة ان يدونوا كل علومهم وحكمتهم لتحفظ في ذلك الهرم . لقد اقتبس المسعودي ذلك ،كعادته، من الاحاديث المتناقلة عن كهنة الاقباط وان كل ذلك كان قبل الطوفان. وان في هذا الهرم لمناعة ضد الغرق والحريق وحتى ضد القوى النووية !!؟؟ اما ما نقش عليه من اسماء ملوك ادعوه لانفسهم ، فقد كان ذلك كثير الحدوث ، في الزمن الغابر .

ويقول هيرودوتس (اليوناني)، في الكتاب الثاني من تاريخه ،ان كهنة طيبة أروه ٣٤١ تمثالا كل واحد منها يمثل جيلا ، يمثله رئيسا اعلى للكهانة في قرنة . وان حساباتهم قد ضبطت جيلا بعد جيل . وبذلك يكون تاريخ اول كاهن ١١٣٤٠ سنة مضت لا ٦٥٠٠ سنة كما نقدرها نحن الان . ويقول الكهنة ان الآلهة امسكت منذ ذلك الحين عن النزول من السماء ، وقد كانت قبل ذلك تعيش بين ظهرانيهم .. والتخبط الذي ما زلنا حائرين في فهم اسبابه ، عاجزين عن تقليده ؟! ان المحنط كان يروم سلامة الاجساد ،مؤمنا بعودة الحياة اليها . ولكن لماذا تلك العناية الخاصة بالبعث الجسدي ، ولماذا لم يكتفوا بالبعث الروحي ؟ او على اي شكل آخر ؟ وحتى انسان ما قبل التاريخ كان يؤمن ببعث الاجساد . وتقول النصوص الاثرية ان الآلهة وعدت باعادة الحياة الى الاجساد المحفوظة حفظا جيدا . ويظهر ان ايمان الاقدمين كان تاما بامكان بعث الحياة في الاجساد ، حتى انهم بذلوا الاموال الطائلة ، وتركوا لدى الجثة ما تحتاج اليه من حلى وطعام، وحتى الخدم . وستقفز دهشة حين تعلم ان فحصا علميا قد اجراه علماء الحياة في جامعة اوكلاهوما في اميركا ، على قطعة من جلد

ومياء الاميرة المصرية مينا ، ثبت فيه امكان احياء انسجة تلك القطعة مع ان هذه الاميرة ماتت قبل آلاف السنين !..

ولننظر الى ما يقوله العلم الان : في سنة ١٩٦٥ شاهد الروس على شاشة التلفزيون كلبين يلعبان ويمرحان ، بعد ان جمدا لمدة اسبوع (اي ماتا) ثم اعيدت اليهما الحياة بالتدفئة ،في تجربة علمية ...

وينبأ البروفسور اتنكر بان الاجسام البشرية لن تدفن في المستقبل ليأكلها الدود ، او تحرق ، بل تحفظ مجمدة في دركات من البرودة شديدة ، في انتظار اليوم الذي يصبح فيه العلم قادرا على ازالة سبب الوفاة ، فتدفأ ، وتشفى مما اماتها ، وتعود الى الحياة من جديد.

لقد اكتشف العالم الروسي رودينكو قبرا عرف ب (كوركان .ف) على بعد خمسين ميلا من منفوليا الخارجية ، بشكل تل صخري مبطن من الداخل بالخشب ، وفيه غرف قد ملئت بثلج دائمي، حتى غدا القبر بشكل ثلاجة عميقة التجميد ، وفي احدى الغرف جثمان رجل وامرأة مجهزان بكل ما يحتاج اليه الميت ، بعد عودته الى الحياة،وكل ذلك محفوظ بالتجميد سالما ، ووجد في القبر اربعة مربعات منقوشة على صخرة ، فيها رموز واشكال تشبه السفنكس المجنح ، ولكن له قرون حلزونية ، وهو في وضع من يهم بالطيران . واكتشفت قبور اخرى لاجساد محنطة بطرق مختلفة ، في الصين ، وفي اريحا في فلسطين ، وفي صحراء غوبي في تركستان الروسية وغيرها . ويستنتج المؤلف ان فكرة العودة الى الحياة ، ربما اقتبسها الانسان مما رآه بعينيه ، حينما كانت الآلهة القادمة من النجوم تفعل ذلك باولاتى من سكان الارض .

ويتساءل الكاتب في فصل من كتابه ، عن سر وجود التماثيل الجبارة في جزيرة الايستر . تماثيل يزن الواحد منها ٥٠ طنا ، وارتفاعها ٦٦ قدما ، ذات قبعات تزن الواحدة ١٠ اطنان مع قطع خشبية ، عليها نقوش بلغة مجهولة ،وهذه الجزيرة في المحيط الهادي على بعد سحيق من المعمورة ، جزيرة بركانية صغيرة ، يسكنها ما يقرب من ٢٠٠٠ نسمة في حالة من التاخر لا تستوجب صنع تمثال طوله شبر . وقد وجد من التماثيل الجبارة الوف على سفوح البركان وفي كأسه ، فمن صنع هذه التماثيل ؟ ومن اقامها ؟ وباية روافع وضعت القبعات على رؤوسها ؟ ان السكان يتناقلون اسطورة مؤداها: ان الها طائرا نزل على الجزيرة ، وصنع كل ذلك ويشيرون الى تمثال يمثل مخلوقا طائرا ذا عيون محملقة . ان هذه الجزيرة تسمى في اساطير السكان سرة العالم ، وهي احسن موقع لدراسة النجوم .

ونفس هذه التماثيل نجدها على بعد ٣١٢٥ ميلا عبر المحيط في (تياهواناكو) في بيرو ، ويوم افتتح بيزارو الاسباني بيرو ، عند اكتشاف اميركا الجنوبية ، سأل السكان (الانكا) عن هذه التماثيل بين خرائب المدينة ، فاجابوه بانها كانت خرائب منذ القدم . وقد انشئت في ليل التاريخ البشري . وقد جاء في اساطير ، الانكا الدينية الموغلة في القدم ان (فيراكوخا) رب الخليقة الازلي الخالد خلق الارض ، يوم كان الظلام ساندا ، ثم قدّ من الصخور جبابرة احياء ،ولكنه لم يرض عنهم ، فاغرقهم بطوفان ، ثم امر الشمس والقمر ان يشرقا، على بحيرة (تيتيكاكا) و(لينتبه القارىء الى بقية الاسطورة) وبعد ذلك صنع مخلوقات من الطين على هيئة الانسان والحيوان ، في تياهواناكو، ونفخ فيها الحياة ، ثم علم الانسان النطق وصنع اللباس والفن . ثم وزع تلك الخليقة في انحاء الارض ليعمروها . ثم شرع ، هو ومعاونان له ، يتفقدون هذا الغرس ، ليروا نتائج تلك الخليقة . وكان فيراكوخا يتنكر بزي رجل عجوز ، وكثيرا ما استقبل استقبالا غير لائق ، كما حدث في بلدة (كاخا) فغضب ، واطلق نارا بدأت تلتهم الجبل ، ولم يطفئها الا بعد ان تضرع له الجاهدون . ثم صارت المعابد تقام له انى حل ، ثم ودع الناس واختفى في مركبته الآلهية ،فوق البحار، ووعد بأن يعود .

ولنتذكر الآن ظهور الحضارة السومرية فجاة في بلاد الرافدين، وما في ملحمة كلكاميش مما ينطبق على وصف جبال الانديز والبحار الواسعة ، وكذلك اسطورة الطوفان الواردة في اساطير بلاد الرافدين وبعدها في التوراة .

ان كل ما نعرف عن تاريخ اميركا لا يزيد مداه عن الف سنة . اما غرائب ما فيها فيلفه ظلام رهيب . لقد وجدت اشياء لا يصدقها عقلنا ، ففي معابد كواتيمالا عثر على احجار كريمة لا توجد في غير الصين . ان التماثيل الهائلة ، التي ذكرناها ، لا يمكن نقلها الى المتاحف حتى الآن ، ومحاجر بعضها مجهولة ، فلم هذا العبث المجهد ؟ من اقام دائرة ستون هينج في انكلترا من صخور جبارة ؟ ومن نصب تماثيل جزيرة الايستر ؟ ولم شيدت تلك الاهرامات ؟ لتكون قبورا للملوك؟ ان المنطق يأبى ذلك !

ان في غابات اميركا الوسطى في كواتيمالا ، ويوكاتان ، آثارا لا تقل عن ما تركه المصريون القدماء ، فقاعدة هرم (جولولا) جنوب المكسيك ، اكبر من قاعدة هرم خوفو وميدان هرم (تيوتيهوكان) شمال المدينة نفسها ٨ اميال مربعة . وتقول اساطير القوم ان الآلهة اجتمعت في ذلك المكان ، للنظر في شؤون الانسان ،قبل ان يخلق ..

ان اهرام (جيشين ايتزا) وآثار (تيكال)و (كوبان) قد اقيمت حسب هندسة شعوب المايا ، وتقاويمهم العجيبة الدقيقة ،ومعلوماتهم الفلكية المحيرة . ولم تضع تلك الاهرام لدفن الملوك ، بل صنعت كتقويم يبين مرور الزمن . لقد اقاموا كل ٥٢ سنة عددا معينا من درجات الاهرام ، حسب خطة محكمة . فكانهم يسجلون مدة تنتهي باتمام البناء . ولكنهم هجروا تلك المنشئات فجاة قبل ٦٠٠ ق.م بعد ان كملت اهراماتهم ، هجروا المدينة وكل ما انشاوا خلال قرون واجيال، وتركوها طعمة للغابات ، وذهب المؤرخون في تفسير هذه الهجرة الغريبة تفاسير شتى لا يصمد احدها امام المنطق السليم . قالوا ان عدوا غزاهم . من هذا العدو ؟ ولم لم يبق بعدهم ؟لقد كانوا اكثر حضارة من الهمج المحيطين بهم بمراحل . وقال آخرون ،هي كارثة مناخية فيا عجبا لم لم تشمل تلك الكارثة كل البقعة ؟ مع العلم انهم لم يبتعدوا اكثر من ٢٢٠ ميلا داخل الغابات . وذهب البعض الى ان جيلا جديدا قضى على القديم . فاين هذا الجيل الجديد ؟ لم لم يبق في محل القديم ؟

ويقول فون دانيكن هل لي ان اضيف الى هذه الاسباب ، سببا، اذ لم يكن اقواها ، فليس هو باضعفها . لقد زار شعوب المايا في حقب سحيقة في القدم آلهة ، ما كانوا الا رواد فضاء ، من كوكب ما. ثم ذهبوا بعد ان وعدوا بالرجوع ، بعد زمن معين . وحرص كهنة المايا على ما ترك هؤلاء من علوم وتقاويم . ومضوا يعدون السنين جيلا بعد جيل انتظارا لعودة الآلهة ،حيث ستستقبل بالاعياد والافراح . وانقضت المدة الطويلة جدا ، وحال موعد اياب الآلهة ، حسب التقاويم الدقيقة ، دون ان تظهر العربة الراعدة تحمل الآلهة . وقدمت الضحايا والقرابين والهدايا دون جدوى . لقد بقيت السماء صامتة ،فيا لخيبة الامل المرة ، ويا لضياع الاجيال في التعب والحساب !! ترى هل اخطاؤهم في الحساب ام نزلت الآلهة في بقعة اخرى ؟ ان تقاويمهم مضبوطة ، وتشير الى سنة ٣١١١ ق.م بتقاويمنا . والعجب ان ثمة فرقا بسيطا بين قيام الحضارة في وادي النيل ، وهجرة المايا لحضارتهم العريقة .

وفي سنة ١٩٣٥ عثر على نقش على حجرة قد يكون صورة الآلة (كوكوماثر) او (كوكولكان) كما يسمى في البقع المختلفة ، في عزبته الآلهية . النقش يمثل حجرة مقفلة بشكل زجاجة مدببة المقدم، تنفث النار من قاعدتها ، وبداخلها انابيب وادوات معقدة ، ووسط ذلك يعتلي انسان واضعا قدميه على محركات وكباسات ، ناظرا امامه الى آلات دقيقة ، يرتدي سروالا قصيرا وسترة مفتوحة العنق ، وحول يديه ورجليه اطواق محكمة . وما كان بالامكان التكهن بما يشير

اليه ذلك النقش عند اكتشافه . اما اليوم فانك لو وضعت النقش امام طفل رأى صورة رائد فضاء في مركبته ، في السينما ، او على شاشة التلفزيون ، لقال على الفور : هذا رائد فضاء في مركبته .

ولنترك بقية المعلومات عن هذه الشعوب الغريبة واساطيرها التي تقول ان الالهة علمتهم ان يزرعوا فطنا ملونا ، وقمحا سنبلته بطول قامة الانسان ، ولننتقل الى فصل جديد .

يقول المؤلف : ان ليندنبرك ، يوم طار لاول مرة من نيويورك الى باريس ، فيما بين الحربين ، وهال الناس ان يقطع (تلك المسافة) طيار لوحده ، لم يرد الطائر الا ان يبرهن ان ذلك يمكن ان يحدث بدون خطر . وحين يرتاد القمر رواد فضاء الآن ، فانما يشيرون الى امكان ارتياد الفضاء ، والسفر الى الكواكب .

ان كرتنا الارضية ستزدحم بالسكان ، كما يقدر العلماء ، في وقت قريب ، ازدحاما لا يترك فوتا لآكل ، ولا بقعة لساكن ، وهم حائرون كيف يواجهون هذه الكارثة ، كما ان الطاقة المخزونة فيها ليست ازلية . فهل يعني بعضهم بعضا بالاسلحة النووية لتقليل السكان واغتصاب المكان ؟ حل مضحك . لو فعلوا ، لما وجدوا الا ارضا يبابا لا تنبت ولا تسكن ، بفعل الاشعاع النووي . فأين المفر ؟.

الكواكب القريبة ... اتقول انها لا تصلح للسكن ؟ ان في استطاعة الانسان ، الان او في المستقبل ان يصطنع الوسائل التي تمكنه من العيش هناك . وليس ذلك اصعب من سكان الاسكيمو في مصر مثلا . وعلينا ان نكف اللوم لما يصرف على ابحاث الفضاء .

ان ما يكتشف احيانا في شتى مجالات العلوم ، لا يمكن تصديقه، قبل اسبوع من اكتشافه .. ان الحضارة الان تسير بسرعة ذات

***

تعجيل (مضاعفة السرعة) على الدوام (كسرعة الجسم الساقط) .

ويبدأ الكاتب ، في فصل جديد ، مخاطرا ، بدغدغة موضوع ما يسميه الاميركان (V O F) مختصر ما يعني المرئيات الطائرة المجهولة. والتي اقيم لها في اميركا دائرة ابحاث خاصة .

لقد رؤيت هذه الاشياء ، التي اطلق عليها اسماء مختلفة في كل بقاع العالم تقريبا ، ولنقل ان ٩٨٪ من كل الروايات ، وهم في الفكر ، او خطأ في النظر . ولكن شهادة الالات لا يمكن اغفالها ، كشاشة الرادار . وكذلك شهادة الطيارين الاميركان في القوة الجوية للولايات المتحدة ، المختارين بعد امتحان عسير لقواهم البصرية والعصبية ، واجهزة طائراتهم الدقيقة التي لا تخطىء ، وليس من مصلحة اي طيار ان يخاطر براتبه الضخم ، وعيشه الرغيد ، في رواية ما لا يصدق العقل .

وسأسرد مما اختاره المؤلف من عشرات الروايات التي لا يمكن تكذيبها ما يلي :

في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٣ التقط شبح لجسم طائر على شاشة الرادار ، في قاعدة ليزوس الجوية ، في مشيكان . وكان الطيار الملازم ر. ولسون ، في تمرين على متن طائرة من طراز ف ـ ٨٦ فسمح له بمطاردة الطائر المجهول . ومضى الرقيب على شاشة الرادار يتابع المطاردة لمسافة ١٦٠ ميلا . وفجأة اندمج شبح الطائرة بشبح الطائر المجهول ، ثم سكت راديو طائرة ولسن الى الابد . ولم يعثر على الطائرة ، ولا على قائدها ، رغم التفتيش الدقيق الذي اجري في المنطقة كلها . ولم تفسر تلك الحادثة ، التي لم تترك حتى ولو قطعة من حديد الطائرة ، وبقعة من زيتها .

وفي ١٣ سبتمبر سنة ١٩٦٥ رأى الشرطي السرجنت يوجين لرتزان ، امرأة وراء مقود سيارتها ، في منعطف طريق يؤدي الى اكسن ، في نيوها مبشاير في الولايات المتحدة . كانت ترتجف فرحا ، وتدعي ان كرة هائلة متوهجة طائرة ، تبعتها مسافة عشرة اميال ، حتى الطريق رقم ١٠١ ، ثم اختفت في الغابة ، فظن الشرطي ان المرأة مخبولة ولكن ما لبث ان سمع نفس الافادة على راديو سيارته ، من سيارة شرطي اخر ، ثم تلقى نداء من مركز الشرطة ، يطلب عودته لسماع افادة شاب يروي نفس الحكاية .

وقد اضطر للقيام ، بعد كل ذلك ، بدورية تفتيش واسعة في المنطقة ، ولما هم بالعودة بعد ساعتين ، رأى ستة خيول هاربة من حقل وقد افقدها الفزع صوابها ، وابصر تلك اللحظة وهجا احمر قد اضاء السماء ، وابصر مع زميله كرة نارية هائلة ، وهي تطوف بصمت وهدوء فوق الاشجار ، وخرق سمعهما هدير كابح سيارة تقف الى جانبهما فجأة ، وصاح الشرطي ، ستون دايف ، من داخلها . « لعنة الله . لقد التقطت حوار كما على راديو سيارتي ، فظننت انكما قد جننتما . اللعنة انظرا هنالك » .

وقد ادلى خمسة وثمانون شاهدا بحقيقة ذلك الحادث ، بينهم موظفون في مراقبة الانواء الجوية ، وحرس السواحل ، وكلهم ممن يفرق جيدا بين البالون والهيلوكبتر والقمر الصناعي او ضوء طائرة، ولم يجد احد تفسيرا لذلك .

ونشرت صحف صوفيا مرة ، ان الناس شهدوا اجساما طائرة متوهجة اكبر من قرص الشمس ، تطير في الفضاء ، رأى البلغاريون ذلك بالعين المجردة ، ثم اتخذت تلك الاقراص المتوهجة اشكال عقل . وكانت اشعتها نفاذة ، وقد راقبها عالم اختصاصي بالانواء ، في بلغاريا ، وهي تبتعد ، وافاد بأنها كانت تسير بمحرك ذاتي ، وانها كانت تطير على ارتفاع ١٤ كم عن سطح الارض .

وفي المؤتمر العالمي الذي انعقد سنة ١٩٦٧ للبحث في تلك الظواهر قال الاستاذ هيرمان اوبرث ، وهو من يسمى باستاذ الابحاث الفضائية ، ان هذه ليست الا سفنا كونية ، صنعتها وسيرتها مخلوقات تفوقنا بمراحل ، ذات ذكاء لا يمكننا تصوره ، واننا لو اتصلنا بها لتعلمنا الكثير . وقوبل رأيه بصفير السخرية كالعادة .

وبقي الروس ، وحدهم ، يسخرون من تلك الروايات ، ولكن ما لبث العالم ان سمع ان لجنة لبحث التقارير المقدمة عن الاشياء المجهولة الطائرة ، قد تشكلت برئاسة الزعيم في القوة الجوية السوفياتية (انا طولي ستولياكوف) .

ولم ينس العالم خبر سقوط جسم هائل من السماء ،في منطقة التايكا في سيبيريا سنة ١٩٠٨ وظن انه نيزك كبير . ولكن العلماء السوفيات بعد التقصي والبحث ، في محل سقوط النيزك وحواليه ، ارسلوا بعده بعثات ، كررت البحث في تلك المنطقة ، فثبت لهم ان ذلك كان انفجارا نوويا لا غير ، وان الزمن يطابق تقريبا، وجود المريخ على اقرب مسافة من الارض . وما زالت الروايات والقصص العلمية السوفياتية تدور حول الحادث .

ان العلماء قد نفوا الان وجود الحياة على المريخ ، بعد ان اكدوا وجودها فيما مضى . انهم يعتبرون متطلبات الحياة غير موجودة هناك . فهلا يمكن وجود متطلبات حيوات مختلفة لا نعلم عنها شيئا ؟ ، وهلا يمكن ان تكون حالة المريخ الجوية قد تغيرت ؟ وان سكانه قد التجأوا الى ما عندهم من علم متقدم وتكنية عالية . فاوجدوا حلا لمشكلة حياتهم ؟ ان هذا احتمال ، وحسب . وما زال علماء الفلك حائرين في سلوك قمري المريخ اثناء دورانهما حوله ، واخر ما توصل اليه كل من الفلكي الاميركي (كارل ساطان) والعالم الروسي (شلوفسكي) في كتابهما (حياة ذكية في الكون) الذي نشر سنة ١٩٦٦ ان قمر المريخ (فوبوس) كتلة مجوفة ، وان ذلك لا يمكن ان يكون الا صناعيا . فهل اصطنع اهل المريخ هذا القمر ، وجوفوه ليعيشوا داخله ؟ بعد ان اصبح كوكبهم غير صالح للسكن ؟ من يدري ؟. المستقبل وحده سيكشف ذلك .

وينتقل المؤلف في اخر فصل من كتابه الى بحث محاولات بني البشر ، بعد ان تأكدوا ، تقريبا ، من وجود ما هو ارقى واعلى منهم بمراحل ، في الكواكب الاخرى ، للاتصال بهذه المخلوقات العليا ، وقامت عقبات هائلة دون ذلك . المسافات الهائلة التي تقاس بالسنين

النورية ، وحياتنا القصيرة على سطح ارضنا ، ثم لغة التفاهم كيف تكون ، اننا بحاجة الى ارسال اشارات بسرعة تعد سرعة الضوء بالنسبة اليها كسرعة السلحفاة ،الى سرعة طائرة نفاثة . ولعل هذه المخلوقات قد وصلت من الرقي الى درجة لا يحتاج معها الى كلام . ان كلامهم قد يكون بتخاطب الافكار رأسا . استتبعد ذلك ايها القارىء ! اذن فاستمع الى القصة التالية !

كان (ادكار رايس) ابن مزارع بسيط في كنتكي في الولايات المتحدة ، لم يحلم قط بانه ذو قابليات عقلية خارقة ، ومع انه توفي سنة ١٩٤٥ فان الاطباء وعلماء النفس ما زالوا حائرين في تفسير تلك القابليات . لقد منحته الجمعية الطبية قبل وفاته ترخيصا في تشخيص الامراض ، ووصف العلاج ، مع انه لم يقرأ كتابا طبيا في حياته . وقصته انه حين كان شابا سقط فريسة مرض مجهول فتشنج جسمه وانتابته حمى شديدة ، افقدته وعيه ، وتكلم في غيبوبته فشخص مرضه ، ووصف الدواء الشافي ، فثارت دهشة الاطباء ، وتمائل الشاب ، بعد معالجته بالدواء الذي وصفه . وكاد الحادث ينسى ، خصوصا بعد ان رفض الشاب اعادة الكرة ، الى ان مرض صديق له ، وحار الاطباء عندما قدم ادكار الوصفة باللاتينية التي لا يعلم منها حرفا ، وشفي المريض . وسمح لادكار ان يعيد الكرة، ووضعوه تحت مراقبة شديدة واستجاب الشاب الى معالجة شخصين كل يوم ،لا اكثر ، دون اجر . فوصف ، لرجل ثري دواء لم يعلم الاطباء له وجودا ، فالتجأ المريض الى وسائل الاعلان العالمية ، يطلب الدواء فكتب اليه طبيب من باريس ، يعلمه بأن اباه كان قد صنع تلك الوصفة ، ولكنه لم يستمر في استعمالها . وكانت الوصفة هي الشافية . ولم يكتف ذات مرة بوصف الدواء ، بل وذكر اسم المختبر الذي يجهزه ، وكان ذلك المختبر في مدينة بعيدة لم يرها ادكار ، ولما اتصل الاطباءبذلك المختبر ، بهت المختبر ، واجاب الاطباء ان الوصفة قد وضع دستورها ، ولكنها لما تجهز ، ولم يضعوا اسما لها حتى الان ، وان ذلك سر المختبر الذي لم يخرج منه حتى تلك اللحظة .

وبحث الاطباء ، ودققوا في حياة ادكار ، وتأكدوا بأنه لم يقرأ كتابا طبيا في حياته كما انه كان ينسى ما يفعل ، ولا يتباهى به ، ولا يتكسب منه ، وقد حقق معه الاطباء وسألوه : كيف يفسر هو نفسه تلك القدرة الخارقة ؟ ، فاجاب الشاب بكل بساطة انه يعتقد ، بانه يستطيع الاتصال بكل دماغ بشري ، فيعلم حقيقة المرض من دماغ المريض ، وليس ثمة من هو اعرف بحالة الجسم من دماغ صاحبه ، ويعلم دماغ ادكار ايضا من ادمغة البشر الاخرى ، الدواء المناسب ، بدون حاجة الى زمن . هكذا يشخص المرض ، ويصف الدواء . وانهى كلامه بقوله ((ما دماغه الا جزء من ادمغة الناس جميعا)) .

ويحاول السيد (فون دانيكن) ان يفسر ذلك بما توصل اليه العلم حتى الان فيقول : فلنفترض ان (كومبيوتر) جبارا اي (دماغا الكترونيا) قد نصب في نيويورك وجهز بكل ما توصل اليه العلم في الفيزياء ، فيجيب على كل سؤال في هذا العلم فورا ، واقيم مثاله في زوريخ ، ولكنه جهز بكل معلومات الفلك التي يعرفها العالم ، واخر في موسكو جهز بكل علوم الحياة ، واخر في القاهرة يضم كل ما توصل اليه الطب . ولنفترض ان ارتباطا لاسلكيا اوتوماتيكيا ، قد وصل هذه الادمغة ، مع غيرها من الادمغة التي اقيمت في مختلف حواضر العالم ، وجهزت بكل العلوم الاخرى . فاذا ما القينا سؤالا على احد هذه الادمغة ، مهما كان السؤال ، اجابك على الفور، اذا كان من اختصاصه ، او اتصل ذاتيا ببقية الادمغة فيأتيه الجواب ، لاسلكيا ، وينقل اليك ، بزمن قد لا يتعدى الثانية ... لقد كان دماغ ادكار رايس يعمل بهذه الطريقة .

ويواجهنا المؤلف بهذا السؤال الخطير ((ما الذي سيحدث لو ان جميع الادمغة البشرية ، او بعضها المتمرن مرانا عاليا ، كان لها مثل هذه القدرة على اتصال بعضها ببعض ؟ اذ العلم لم يكشف حتى الان ، الا القليل عن اسرار عمل الدماغ البشري ، وقابلياته ، اننا نعلم ان عشر قشرة الدماغ تعمل لادارة حياة الانسان ، فما شان الاعشار التسعة الباقية ؟

لقد اعترف الطب ان بعض حالات امراض مستعصية ، قد شفيت بقوة ارادة اصحابها ولعل لامثال هؤلاء الناس قدرة على اطلاق قدرة عشر ثان في قشرة ادمغتهم ، وماذا لو وجدت الوسيلة الفعالية نفسيا او فزيولوجيا ، لاطلاق الاعشار العشرة كلها ؟ لا شك اننا سناتي بالعجب العجاب ، مما لا يصدق ، ولعلنا عندئذ نستطيع ان نتصل بكل من هم في الكون من امثالنا . فمتى نستطيع معرفة استعمال هذا المحرك Gear لاستعمال عقولنا كلها ؟

***

لقد اعتمد المؤلف في وضع كتابه على ٥٤ مرجعا علميا لعلماء مشهود لهم في مختلف العلوم ، وبعضهم ممن حاز على جائزة نوبل ، كما انه قرأ ١٤ كتابا ادبيا ودينيا وتاريخيا قراءة عامة . وقضى عشر سنين في التحري والتقصي ، والاجتماع بالبحاث والعلماء ، الذين استفاد منهم في تاليف كتابه . لقد رأيت فلما وثائقيا لهذا الكتاب ، في فينا ، اوضحت الشواهد التي قام عليها الكتاب ، وكان الفيلم مثيرا ممتعا مفيدا ، ان هذا العرض لا يضم الا اقل من العشر من الشواهد والبراهين والمنطق المتماسك ، الذي بني عليه هذا الكتاب، وما تركته قد يكون اهم مما ذكرته .

ولا يسعني في النهاية الا ان اقول ان المتدينين المتمسكين بايمانهم سيجدون في الكتاب ما يقوي هذا الايمان لا يضعفه ، فاذا كانت تلك مقدرة المخلوق ، فما اجل الخالق ؟ ان ما يؤمن به الروحانيون من المعجزات والخوارق الالهية ، قد تكون من البديهيات اذا ما قورنت بهذه العجائب . ترى ما الذي يخبئه المستقبل لنا ؟ قد يتاح ، حتى لمن هم على ابواب الشيخوخة ، ان تطول حياتهم ، ويستمتعوا بسفرة كونية . ولكن سخفاء السياسة العالمية ، ما زالوا يصرفون تسعة اعشار جهودهم ، على المهاترات الصبيانية ، فما الذي سيحدث ، لو سخرت كل الطاقة البشرية لتقدم العلم والتكنية ؟ اني لاخشى ، مع غيري ممن يكرهون الحرب ، ان يفني البشر بعضه بعضا في فورة نزق سياسية . فلنحاول اذن ان نطلق (الكبر) في عقولنا ، ونتصل بجار كوني اعلى منا ، لعله يستطيع ان يفرك آذان هؤلاء الحمقى ، ويوقفهم عند حدهم ...))

واني لاتذكر الان نظرية فلاسفة العرب الصوفيين في وحدة الوجود ، وقول بعضهم :

انا من اهوى ومن اهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرته ابصرتني ... واذا ابصرتني ابصرتنا
فينا

ذو النون ايوب

صدر حديثا

لغة الابراج الطبنية

للشاعر
حميد سعيد

منشورات دار الآداب